

منبر المحراب

الزهاء في بيت علي (مواصفات الزوجة)

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨٣٢ - ٩٠ جمادى الأول / ١٤٣٠ هـ
الموافق ٥/نيسان/ ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- السماء تأمر بزواجهما
- مهر فاطمة وجهازها وبيتها
- الحياة الزوجية تعاون وإيثار
- تضحيات فاطمة أمام أسرتها

الهدف: التعرف الى الحياة الزوجية الناجحة لأمر المؤمنين (عليه السلام) والسيدة الزهاء (عليها السلام)، والافتداء بهما.

تصدير الموضوع... قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أبشرك يا عليّ فإن الله عز وجل قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوجهما في الأرض، ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال: يا محمد! إن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من خلقه فيعئك برسالته، ثم اطلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوجه ابنتك فاطمة (عليها السلام)، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يا محمد! إن الله عز وجل أمرني أن أمرك أن تزوج عليّاً في الأرض فاطمة، وتبشرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيرين فاضلين في الدنيا والآخرة...» (بحار الأنوار: ٤٣ / ١٢٧)

١- زَوْجُ النُّورِ مِنَ النُّورِ:

خطب أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال فاطمة من النبي (صلى الله عليه وآله)، فكان (صلى الله عليه وآله) يردّهم ردّاً جميلاً ويقول لكل من جاءه: «إني أنتظر فيها أمر الله» وكان (صلى الله عليه وآله) يعرض عنهم بوجهه الكريم حتى كان الرجل يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخط عليه (كشف الغمة: ١ / ٣٥٣).

وكان رسول الله قد حبسها على عليّ، ويرغب أن يخطبها منه (كشف الغمة: ١ / ٣٥٤)

وذات يوم وما إن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتى توجّه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان في بيت السيدة أم سلمة، وبينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو أن يزوّج النور من النور، أي فاطمة من عليّ. (راجع معاني الأخبار: ١٠٣، والخصال: ٦٤٠، وأمالى الصدوق: ٤٧٤، وبحار الأنوار: ٤٣ / ١١١).

فدقّ عليّ (عليه السلام) الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قومي يا أم سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّهما» فقالت أم سلمة: فذاك أبي وأمي، من هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تراه؟ فقال: «مه يا أم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ» قالت أم سلمة: فقمّت مبادرة أكاد أعثر بمرطلي، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): «وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس» فجلس عليّ (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: «يا أبا الحسن، إني أرى أنّك أتيت لحاجة، فقل حاجتك وأبد ما في نفسك، فكل حاجة لك عندي مقضية» قال عليّ (عليه السلام): «فذاك أبي وأمي إنّك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذاك،

وأدبتني بأدبك، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة، وإنّ الله تعالى هداني بك وعلى يدك، وإنّك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راعياً، أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله؟» فتهلّل وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرحاً وسروراً، وأتى فاطمة فقال: «إنّ عليّاً قد ذكرك وهو من قد عرفت» فسكت (عليها السلام)، فقال (صلى الله عليه وآله): «الله أكبر، سكوتها رضاها» فخرج فزوّجها. (راجع بحار الأنوار: ٤٣ / ٩٢، وذخائر العقبى: ٣٩)

- أمر زواجهما من السماء:

قال ابن أبي الحديد: وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها في السماء بشهادة الملائكة (شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٩٣، وبنص آخر في ذخائر العقبى: ٤١٠).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة من عليّ (عليه السلام) كان الله مزوّجه من فوق عرشه (بحار الأنوار: ٤٣ / ١٤٢)

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوجهكم إلا فاطمة، فإنّ تزويجها نزل من السماء» (بحار الأنوار: ٤٣ / ١٤٥)

• مهرها وجهازها:

وجاء عليّ بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان اربعمائة درهم سود هجريّة، فقبض الرسول (صلى الله عليه وآله) الدراهم وأعطاها لبعض أصحابه ونسائه ليشترؤا متاعاً



إليه يصعد الكلم الطيب

قال علي عليه السلام: «فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ جَاءَتْ لِحَاجَةٍ، قَالَ ﷺ: فَعَدَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... فَقَالَ ﷺ: أَفَلَا أَعْلَمُكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَاكِمَا فُسِيحًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحِدًا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِيرًا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ (بحار الأنوار: ٤٣ / ٨٥)

هكذا تكون الزوجة:

لقد كانت الزهراء عليها السلام تشجع زوجها، وتمتدح شجاعته وتضحيته، وتشدد على يده للمعارك المقبلة، وتسكن جراحه وتمتص آلامه، وتسري عنه أتعابه، حتى قال الإمام علي عليه السلام: «ولقد كنت أنظر إليها فتتجلي عني الغوم والأحزان بنظرتي إليها» (المناقب للخوازمي: ٢٥٣)

ولقد كانت حريصة كل الحرص على القيام بمهام الزوجية، وما خرجت فاطمة عليها السلام، وما أسخطته يوماً، وما عصت له أمراً، وقابلها الإمام علي عليه السلام بنفس الاحترام والود وهو يعلم مقامها ومنزلتها الرفيعة، حتى قال: «فوالله ما أغضبتها ولا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبتي ولا عصت لي أمراً» (المصدر السابق)

وعن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً فقال: «يا فاطمة هل عندك شيء تغذي به؟» قالت: لا، والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين (الحسن والحسين) فقال علي عليه السلام: «يا فاطمة ألا كنت أعلمتي فأبنيكم شيئاً؟» فقالت: «يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه» (بحار الأنوار: ٤٣ / ٥٩).

النبي ﷺ موضعها مع علي عليه السلام فواساه في طحن الحب (المصدر السابق: ٤٣ / ٥٠)

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز» (المصدر السابق: ١٥١)

وجاء في تفسير العياشي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت وضمن لها علي ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء تقريك به قال: أفلا أخبرتي؟ قالت: كان رسول الله ﷺ نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألني ابن عمك شيئاً أن جاءك بشيء (عفو) وإلا فلا تسألني).

- تضحيات فاطمة أمام أسرتها:

لقد كانت بنت النبي الأكرم تبذل قصارى جهدها لإسعاد أسرتها، ولم تستقل أداء مهام البيت رغم كل الصعوبات والمشاق، حتى أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام رقى لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بني سعد: «ألا أحذرك عني وعن فاطمة؟ إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله ﷺ إليه، وإنها استقت بالقرية حتى أثر في صدرها، وطحن بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أبك فسألتيه خادماً يكفك ضرراً أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي ﷺ فوجدت عنده حديثاً [٣] فاستحثت فانصرفت...

للبيت الجديد، فكان الجهاز:

١. قميصاً يسبعه دراهم. ٢. خماراً بأربعة دراهم. ٣. قطينة سوداء خيبرية. ٤. سريراً مزماً بشريط. ٥. فراشين من خش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم (صوف). ٦. أربعة مرافق من آدم الطلائف حشوها إزخر. ٧. سترًا من صوف. ٨. حصيراً هجري. ٩. رحاء اليد. ١٠. سقاء من آدم. ١١. مخضباً من نحاس. ١٢. قعباً للبن. ١٣. شناً للماء. ١٤. مطهرة مزقة. ١٥. جرّة خضراء. ١٦. كيزان خزف. ١٧. نطعاً من آدم. ١٨. عباءة قطراني. ١٩. قربة ماء.

قالوا: وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم بارك لقوم جل أنيتهم الخزف» (المناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٥٣، وكشف الغمة: ١ / ٣٥٩)

- بيتهما:

جهز علي عليه السلام داره، وفرش عليه السلام بيته بالرمال اللين ونصب خشبة من حائط إلى حائط لتعليق الثياب عليها وبسط على الأرض إهاب كبش ومخدة ليف. وعن أبي يزيد المدني قال: لما أهدت فاطمة إلى علي عليه السلام لم تجد عنده إلا رملاً مبسوطة ووسادة وجرّة وكوزاً (فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٤٧٧ نقلاً عن المناقب لأحمد بن حنبل)

الحياة الزوجية تعاون وإيثار:

- علي وفاطمة يتقاسمان أعمال المنزل: وفي ذات يوم دخل رسول الله ﷺ على علي عليه السلام فوجده هو وفاطمة يطحنان في الجاروش، فقال النبي ﷺ: «أيكما أعين؟» فقال علي عليه السلام: «فاطمة يا رسول الله» فقال: «قومني يا بنية»، فقامت وجلس